Mohammed ABURAHME¹

SEMANTIC PATTERN OF GIFT IN THE NOBLE QURAN

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.6-3.13>

Research Article

Received:

20/04/2021

Accepted:

13/05/2021

Published:

01/07/2021

This article has been
scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

ALLAH has honored Arabic for preserving the Qur'an for it, and it is miraculous in its statement, wording and saying, and the Qur'an expression is based on semantic patterns that constitute as a whole the unity of the Qur'anic discourse unique in its composition and miracle. I was concerned with the study of the specialization of expressions in their homeland from the Qur'an context exclusively. From the positions in which the context (the gift) was mentioned, and after observing all the citizen and identifying the contexts that contained the gift, the effort devoted himself to the semantic pattern that concerned the verb with its revelations in order to reveal its truth and reveal its identity, and to explain the use of the word in its context and its harmonious and consistent relationship in order to show textual coherence between the signifier And its significance in its functional interrelated relationship between the context and the word gift, in conformity with the documented intent intended in the general verse,

The study presented the views of commentators and linguists in its homeland, then the researcher directed the linguistic saying to clarify the situation, clarify the significance and reveal the harmony of the Qur'anic discourse, the location of the study according to the semantic pattern of the gift in the Qur'an.

Key words: Gift, Pattern, Connotation, Context.

¹ Dr. , Applied Science University, Jordan, m_aburahme@asu.edu.jo, <https://orcid.org/0000-0002-9085-0740>

النسق الدلالي للهبة في القرآن الكريم

محمد عمر محمد أبو رحمة²

الملخص

شرف الله - عز وجل - العربية بحفظ القرآن لها، وهو المعجز في بيانه ولفظه وقوله، ويقوم التعبير القرآني على أنساق دلالية تشكل في مجموعها وحدة الخطاب القرآني المتفرد في تركيبه وإعجازه، وقد جاء باللفظ الدقيق ليعبر عن المعنى المراد غاية في الفصاحة، وثمة دراسات كثيرة عُنيت في بحث اختصاص الألفاظ في موطنها من السياق القرآني دون غيرها، وقد وقفت على التعبير القرآني بفعل الهبة وتصريفه فوجدته يتكرر في مواطن كثيرة من القرآن، نحو قوله تعالى:

(فَلَمَّا أَغْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) (مريم، 49)

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِيذٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (ص 35)
'(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذُّكُورَ) (الشورى 49)

وغيرها من المواضع التي وردت فيها سياق (الهبة)، وبعد رصد المواطن جميعها، والوقوف على السياقات المتضمنة للهبة، انصرف الجهد إلى استكناه النسق الدلالي الذي اختص الفعل بوروده لتجلية حقيقته وكشف كنهه، ولتعليل استعمال اللفظ في سياقه وعلاقته المنسجمة والمتسقة بغية إظهار التماسك النصي بين الدال ومدلوله في علاقته الوظيفية المتلازمة بين السياق ولفظ الهبة في تطابق وثق المقصد المراد في عموم الآية، وعرضت الدراسة آراء المفسرين وعلماء اللغة في موطنها ثم عمد الباحث إلى توجيه المقولة اللغوية ليجلي الموقف ويوضح الدلالة ويكشف انسجام الخطاب القرآني موقع الدراسة وفق النسق الدلالي للهبة في القرآن.

الكلمات المفتاحية: الهبة، النسق، الدلالة، المقام.

المقدمة:

انشغل أهل اللغة بدراسة اللفظ القرآني في سياقه من منظور خاص تفرد به القرآن، وقد شكل معه نسقاً دلالياً ينتظم في مقامه ولا يقوم مقامه استعمال لغوي آخر مهما توافر من مرادفات لغوية، فيختص اللفظ بتأثيره التعبيري في موطنه لينتقل من حد المعنى المعجمي إلى مقامية الخطاب القرآني في تماسك لفظي ومعنوي، وله إعجازه البياني الحاصل من دقة النظم وإنشاء التركيب، ويصرح العلماء بأن التفاوت والمفاضلة في التراكيب تظهر الإعجاز للقرآن بنسقه التعبيري الدلالي، وقد استعملت العرب المفردات الواردة في القرآن لكنهم عجزوا عن محاكاته أو الإتيان بمثله أو بجزء منه، فهو يعلو على كل ما قالوه ونظموه.

إن البحث في النسق الدلالي لاستعمال الهبة في تراكيبها ومواطنها القرآنية حقيقته الكشف عن صور الإعجاز بتمثلات الدقة المتناهية في استعمال لفظ الهبة الذي يؤدي المعنى المراد دون غيره في دائرة المهمة الدلالية للفظ، وتوثيقاً للمعنى الكلي لسياق الآية المنسجمة مع بناء السورة ليشكل في موقعه تلازماً يعلل حضوره في تماسك النص ويصرح بوحدة الخطاب القرآني.

وذهب الجهد إلى تتبع مواطن الهبة في القرآن وحصرها واستقراءها وتحليلها وفق المرجعيات اللغوية والمعجمية وتتبع أقوال أهل الرأي من المفسرين ومقاربة تصوراتهم في فهم موطن الدراسة. وسيجيب التحليل النصي عن علة حضور الهبة في مقامية التعبير القرآني ضمن الوظيفية المعتمدة في سياقها بغية الكشف عن انفرادها في تأدية المعنى بطاقتها التأثيرية على ظلال النص.

الدلالة اللغوية للهبة

² د.، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، الأردن، m.aburahme@asu.edu.jo

تدور دلالة الفعل (وهب) في معاجم اللغة بمعنى العطاء، و " وَحَكَ السَّيْرَانِي عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ أَغْرَابِيًّا يَقُولُ لِآخَرٍ: انْطَلِقْ مَعِي أَهْبِكَ نَبْلًا " (ابن سيده، 2000). وجاء في لسان العرب: "وَهَبَ: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: الْوَهَّابُ. الْهَبَةُ: الْعَطِيَّةُ الْخَالِيَةُ عَنِ الْأَعْوَاضِ وَالْأَغْرَاضِ، فَإِذَا كَثُرَتْ سُمِّيَ صَاحِبُهَا وَهَّابًا" (ابن منظور، دت). و "وَهَبْتُ لَهُ هِبَةً وَمَوْهَبَةً وَوَهَبًا وَوَهْبًا، إِذَا أُعْطِيَتْهُ، وَاتَّهَبْتُ مِنْهُ، أَيِ قَبِلْتُ" (الأزهري، 2001). وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. " لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ " (الترمذي، 1975). أي: لَا أَقْبَلُ هِبَةً إِلَّا مِنْ هَؤُلَاءِ. ويجتمع القول في الهبة لغة الاشتراك في " المعنى المحوري حَوْزُ النافع بلا مقابل " (جبل، 2010).

التحليل السياقي لورود الهبة

ترتبط الهبة في نسق دلالتها القرآنية بمعنى العطية التي لا يقدر عليها إلا الله، وتحضر في عموم سياقات الرحمة والأمن والسكينة، وقد جاءت في غالب مواطنها في القرآن في سياق الدعاء الذي يستوعب دلالة الأمن والطمأنينة في دعاء الإنسان على حياته وآخرته بالخير والفرح، فيسعد المؤمن بهبة الله له بالذرية الصالحة وتُسَرُّ نفسه وتَقَرُّ عينه، فيحضر الدعاء بفعل الهبة في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " (الفرقان، 74).

والعطاء من الله لأنبيائه بالذرية الصالحة ما يُسْتَشْعَرُ منه الراحة والسكينة ويعزز الأمن بالقرب واللجوء إلى الله، ويظهر ذلك في صريح سياق الدعاء على لسان زكريا عليه السلام في قوله تعالى: " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ " (آل عمران، 38)، وقد اختار فعل الهبة في سياق الدعاء دون باقي أفعال العطاء ولم يقل: أرزقي، أو أعطني، أو امنحني، أو آتني، إنما التعبير عن طلب العطاء في سياق الهبة وهي تتقدم على باقي العطاء لما فيها معنى الاختصاص والقرب، فالله سبحانه يخص أنبياءه بهذه النعمة من الذرية الصالحة الطيبة وسبيلها في أثر السعادة والطمأنينة التي تبعثها الهبة، والمتأمل في نوع الهبة في سياق الآيات يجد أكثرها جاءت هبة في الذرية الصالحة؛ وشأنها الذي يستلزم الحمد والشكر في قوله: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ " (إبراهيم، 39). ومن مقتضيات الثناء صفة الله في التعقيب على الدعاء بصيغة المبالغة (الوهاب)، وهو كثير العطاء في قوله تعالى: " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " وحكايتها في صورة مقابلة للخوف الذي يظهر الطمأنينة للتدليل على خصوصية العطاء بالهبة للصالحين كما في قوله تعالى: " فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ " (الشعراء، 21)، وتتنضح العلاقة مع الله تعالى في الطمأنينة والسكينة بهبة الحكم والرسالة، " فَكَأَنَّهُ قَالَ أَتَأْتُمُونِي بِأَنْ يَرْجُوَ بَأْسَ اللَّهِ إِلَيَّ بِأَنْ وَهَبَ لِي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ " (الفخر الرازي، التفسير الكبير، 496/24).

وورودها مظهر من مظاهر الرحمة في قوله " وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا " (مريم، 53)، وتحقق الهبة اليقين بقدرة الله المطلقة على كل شيء فيأتي الدعاء بصيغة الهبة: " وَإِلَيَّ خِصْفُ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ آمْرًا قَهْبًا لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا " (مريم، 5)، ويقتصر الدعاء والطلب من الله بالهبة على ما يستحيل تحقيقه دون عطاء من الله كما في دعاء سليمان عليه السلام حين بدأ الطلب بصيغة الأمر من الهبة وختمها بصيغة المبالغة الوهاب في قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " (ص، 35).

وما يسترعي الانتباه تكرار الهبة من الله المتعلقة بجنس الإنسان الذكر والأنثى في قوله تعالى: " لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوْرَ " (الشورى، 49)، والمتأمل في خطاب السورة عامة يجدها تعرض في معرض عطاء الله بالخير بحكمة الله ومشيتته لا من مشيئة الإنسان، ويؤكد الزمخشري في تفسيره هذا الوجه بقوله: " ثم عقبه بذكر ملكه ومشيتته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاءه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم " (الزمخشري، 1407، 232/4)، وقد ذكر قبلها حال الإنسان من إرادة الله في إصابته بالرحمة وعكسها في قوله: " وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ " (الشورى، 48)، ويظهر دلالة عموم السورة في ابتلاء الإنسان فيما يكره من أمره في الدنيا ونحوه قوله تعالى: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ " (الشورى، 20)، وقوله تعالى: " فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " (الشورى، 36). وبين الزمخشري تناسب الهبة مع ما سبقها في معرض الحديث عن إرادة الله في ابتلاء الإنسان، يقول: " لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها: أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضها بالإناث وبعضها بالذكور " (الزمخشري، 1407).

ويكشف التحليل عن مدى تقييد الدلالة المعجمية للهبة مناسبة سياق الآية لتنقل إلى ذهن المتلقي علاقة الهبة بما استقر في ذهنه من سيميائية اللفظة نحو الانفعال بالفرح بما تمثله الهبة في ارتباطها بالهدية. ويظهر التحليل النصي عن سؤال القلق عما يهبه الله للإنسان من الخير، فتأتي الهدية في صيغة النكرة لتعظيمها في موطن، وتعرّف في ورود آخر، وقد بين النظر التحليلي عن مدى توافقها مع ما يتوقعه الإنسان من الهبة التي توافق تصوره وما يريد من الله أن يهبه، ويؤكد حضور فعل الهبة بتقديم الإناث على الذكور أن الهبة والعطاء يختص بتقدير الله وحكمته وليس شرطاً أن ترتبط الهبة بالفرح الذي يقدره الإنسان، وعليه تتكرر الهبة في الآية بإطلاق الإناث وجمعها دون تعريفها (إناث) وتتقدم على الذكور ليتقاطع التقديم مع التنكير لتعظيم الشأن على نحو مغاير لما تقدره العرب سابقاً كما في قوله تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" (النحل، 58)، وعليه يظهر لنا انسجام حضور فعل الهبة مع سياق عموم الآيات التي تعلن عن لطف الله بعباده في السورة، وقد قال سبحانه قبل الهبة: "اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ" (الشورى، 19).

وتحقق هبة الله للإنسان بالذرية من صلبه ذكراً أو أنثى معنى التكريم الحقيقي للإنسان بوصفها المكرم الأول بالعطية والهبة من الله بضرورة التكاثر و"القمة الأولى في الهبات والعطايا هي قمة السيادة الأولى في الكون للإنسان، ثم التكاثر من نوعية الذكر والأنثى، حيث الذرية من البنين والبنات" (الشعراوي، 1997).

وظاهر الرأي في عطية الهبة دون الحق ما استوجب الحمد والثناء على الله على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" (إبراهيم، 39).

ونلاحظ اختصاص الهبة في الذرية الصالحة للأنبياء لتعظيم شأنها ويتحقق فيها معنى الفرح والسرور بحصول الهبة وجوداً وأثراً إنسانياً يتحقق في قرة العين، ولا يجاوز فرح آخر، نحو قوله تعالى "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (الأنعام، 84)، ودلالاتها حاضرة على أعظم مراتب العطية وذلك "أَنَّهُ جَعَلَهُ غَزِيْرًا فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ لَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَعَلَ أَشْرَفَ النَّاسِ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ مِنْ نَسْلِهِ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَأَبْقَىٰ هَذِهِ الْكَرَامَةَ فِي نَسْلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ السُّرُورِ عِلْمَ الْمَرْءِ بِأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ عَقِبِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُلُوكُ" (الرازي، 1981)، ومن عظيم النعم على سيدنا إبراهيم عليه السلام أن جعل هيبته حاصلة في ذريته النبوة و"وَأَشَارَ إِلَى رَفْعِ دَرَجَاتِهِ وَذَكَرَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ هَيْبَتِهِ لَهُ هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي تَفَرَّغَتْ مِنْهُ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْمِنَّةِ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَسْلِ الرَّجُلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلُ" (أبوحيان الأندلسي، 1993، 573/4).

ويكتمل فيها معنى العطاء بلا عوض في صورة الهبة المحققة للفرح والسرور في عطف جملة الهبة على جملة (آتيانها) قبلها واختصت الهبة في معرض عطاء الله لإبراهيم ذرية النبوة وفيها غاية التكريم الذي لا يتحقق وجوده والتعبير عنه إلا في دلالة الهبة المستقرة بالطمأنينة والتفضل والكرامة عطاء من الله و"جُمْلَةُ وَوَهَبْنَا عَطْفٌ عَلَى جَمْلَةِ آتَيْنَاهَا؛ لِأَنَّ مَضْمُونَهَا تَكْرِمَةٌ وَتَفْضِيلٌ..... وَالْوَهْبُ وَالْهَبَةُ: إِعْطَاءُ شَيْءٍ بِلاَ عَوَضٍ، وَهُوَ هُنَا مَجَازٌ فِي التَّفْضِيلِ وَالتَّيْسِيرِ." (ابن عاشور، 1984، 337/7).

ويذهب الشعراوي في حدود تفصيله عن الهبة موضحاً أنها تفتقر عن الحق، لأن الذي يأخذ العطية وهو يستحقها تعد حقاً له ولا تدخل في باب الهبة، و"ساعة ترى الهبة، افهم أنها ليست هي الحق، فالهبة شيء، و«الحق» شيء آخر" (الشعراوي، 1997).

وبيّن الشعراوي كذلك أن الراسخين في العلم في دعائهم يريدون الرحمة في سياق الهبة في قوله تعالى: "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" (آل عمران، 8). ويقول: "إنهم يطلبون رحمة هبة لا رحمة حق، فليس هناك مخلوق له حق على الله إلا ما وهبه الله له. والراسخون في العلم يطلبون من الله الرحمة من الوقوع في الهوى بعد أن هداهم الله إلى هذا الحكم السليم" (الشعراوي، 1997).

وتعلمنا الآية الدعاء بالثبات على أمر الدين والهداية في سياق الرحمة بالهبة، "فَلَمَّا آمَنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بِكُلِّ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ الْمُحْكَمَاتِ وَالْمُتَشَابِهَاتِ نَضَرُوا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي أَنْ لَا يَجْعَلَ قُلُوبَهُمْ مَائِلَةً إِلَى الْبَاطِلِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهَا مَائِلَةً إِلَى الْحَقِّ" (الرازي، 1981).

وهو في حكايته: "دُعَاءُ عِلْمِهِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَغْلِيْمًا لِلْأُمَّةِ: لِأَنَّ الْمَوْقِعَ الْمَخْكِ مَوْقِعٌ عِبْرَةٌ وَمَنَارٌ لِهَوَاجِسِ الْخَوْفِ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ إِلَى خَالِ الدِّينِ فِي قُلُوبِهِمْ زَنْجٌ فَمَا هُمْ إِلَّا مِنْ عُقَلَاءِ النَّبَشْرِ، لَا تَقَاوُتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَا فِي سَلَامَةِ الْعُقُولِ وَالْمَشَاعِرِ، فَمَا كَانَ ضَلَالَهُمْ إِلَّا عَنْ حِزْمَانِهِمُ التَّوْفِيقِ، وَاللُّطْفِ، وَوَسَائِلِ الْإِهْتِدَاءِ" (ابن عاشور، 1984).

وجاء التعبير في دعاء سليمان بسؤال الملك بضرورة الهبة والتي لا يقدر عليها إلا الله الوهاب في قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" (ص، 35). ويجلي السياق الدلالة اللازمة للهبة تحقيقاً لمعنى العطية دون الحق ودون مقابل منتظر وغايته في تأويل المفسرين: "أَنَّهُ قَصَدَ مِنْ سُؤَالِهِ الْإِشْفَاقَ مِنْ أَنْ يَلِيَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْمُلْكِ مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعِصْمَةِ مَا يَضْطَلِعُ بِهِ لِأَعْبَاءِ مُلْكٍ مِثْلِ ذَلِكَ الْمُلْكِ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ مِنَ النَّفُوذِ

عَلَى أَمَّتِهِ مَا لِسُلَيْمَانَ عَلَى أَمَّتِهِ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يُحْسَدَ عَلَى الْمُلْكِ فَيَنْجُمُ فِي الْأُمَّةِ مُنَازَعُونَ لِلْمَلِكِ عَلَى مُلْكِهِ" (ابن عاشور، 1984).

وتشير الهبة في موطنها إلى خصوصية العطاء للأنبياء فمنهم من وهبه الله الذرية الصالحة كما تقدم ذكره وتحصلت خصوصية هبة الله لسليمان بالملك العظيم، "فَلَوْ أُعْطِيَ أَحَدٌ بَعْدَهُ مِثْلُهُ ذَهَبَتْ الْخُصُوصِيَّةُ" (القرطبي، 2006). واستلزمت العطية الثناء على الله بصفة المبالغة في نوع الهبة وكيفيةها وتفرداها من الهبة لتقرر قصرها على الله، و"جُمْلَةُ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ عِلَّةٌ لِلسُّؤَالِ كُلِّهِ وَتَمْهِيدٌ لِلْإِجَابَةِ..... وَذَلِكَ صِغَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي الْوَهَّابِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَهْبُ الْكَثِيرَ وَالْعَظِيمَ لِأَنَّ الْمُبَالَغَةَ تُفِيدُ شِدَّةَ الْكَمِّيَّةِ أَوْ شِدَّةَ الْكَيْفِيَّةِ أَوْ كِلْتَاهُمَا بِقَرِينَةِ مَقَامِ الدَّعَاءِ، فَمَغْفِرَةُ الذَّنْبِ مِنَ الْمَوَاهِبِ الْعَظِيمَةِ لِمَا يُرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَأَعْظَاءٍ مِثْلَ هَذَا الْمُلْكِ هُوَ هِبَةٌ عَظِيمَةٌ. وَأَنْتَ صَمِيمٌ فَضْلٌ، وَأَفَادَ الْفَضْلُ بِهِ قَصْرًا فَضَارَ الْمَعْنَى: أَنْتَ الْقَوِيُّ الْمَوْهَبَةُ" (ابن عاشور، 1984).

النتائج

يخلص البحث في نظر النسق الدلالي للهبة في لزوم حضورها واختصاصها في موطنها لارتباطها بعطايا الله وحده القادر على الهبة ولم تشكل نسقا يدل على قدرة غير الله على الهبة. وكشف التحليل عن اختصاص الهبة ودلالاتها عن العطية المناسبة بتقدير الله وحكمته ومشيتته لا مشيئة البشر ورؤيتهم ولا تشتت تقديرهم للسعادة والفرح من هدية الهبة، والفرح بها يكون بحكمة من الله وفق تقديره سبحانه لا ما ينصرف إليه الإنسان في حياته. كما كشف النظر التحليلي عن فرق بين الحق والهبة، فالمستحق للعطية تكون من مقتضيات حقوقه لا تخضع لدلالة الهبة، وهي حاصلة من غير مقابل ولا تخضع لنظرية التوقع عند الإنسان، والله سبحانه الوهاب الذي لا يمنع عطيته شيء ولا تحجز إرادته قوة، ويختص عطاؤه الكثير بالكيفية والكمية الخاصة بلفظ الهبة.

المصادر والمراجع

- الأخفش، أبو الحسين سعيد بن مسعدة (ت215هـ)، معاني القرآن، تحقيق هدى قراعة، ط1، 1990، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الأزهري، أبو منصور محمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأستراباذي، رضي الدين (ت688هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد الزفزاف و محمد محي الدين عبد الحميد، 1982، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأصفهاني، أبو القاسم الراغب (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، (د.ت)، دار المعرفة، لبنان.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط1، 1987م، دار الشعب، القاهرة.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ)، خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، 1986م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- البغوي، الحسين بن مسعود (ت516هـ)، تفسير البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، (د.ت)، دار المعرفة، بيروت.
- الترمذي، محمد بن عيسى (ت279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: بشار معروف، 1998، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد (ت437هـ)، الكشف والبيان في تفسير القرآن المسمى (تفسير الثعلبي)، تحقيق الإمام أبي محمد ابن عاشور، ط1، 2002م، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: التنجي، ط1، 1995م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، 1994م، وزارة الأوقاف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط3، 1404هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- أبو حيّان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق صديقي جميل، ط1، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الخان، علاء الدين البغدادي (ت741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، 1979م، دار الفكر، بيروت.

- أبوداود، سليمان بن الأشعث (275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ت)، دار الفكر العربي، بيروت.
- الرازي، عبد الرحمن بن محمد (ت 327هـ)، تفسير القرآن المسمى (تفسير ابن أبي حاتم)، تحقيق أسعد محمد الطيب، (د.ت)، المكتبة العصرية، صيدا.
- الرازي، فخر الدين (ت 606هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط 1، 1981م، دار الفكر، بيروت.
- الرازي، محمد بن أبي بكر (ت 721هـ)، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، 1995م، مكتبة لبنان، بيروت.
- الزبيدي، محمد مرتضى (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالستار فراج، 1965، التراث العربي، الكويت.
- الزركشي، أبو عبد الله محمد (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1391هـ، دار المعرفة، بيروت.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، ط 2، 2007م، دار عمار، عمان.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المسمى (تفسير السعدي)، 1996م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السمعاني، أبو المظفر منصور (ت 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط 1، 1997م، دار الوطن، الرياض.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت 756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق الدكتور محمد التونجي، ط 1، 1993م، عالم الكتب، بيروت.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي (ت 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هندواوي، ط 1، 2000م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، ط 1، 1996م، دار الفكر، لبنان.
- الشعراوي، محمد متولي (ت 1418هـ)، تفسير الإمام الشعراوي، ط 1، 1991، دار الأخبار، القاهرة.
- الشنقيطي، محمد الأمين (ت 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، 1995م، دار الفكر، بيروت.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (د.ت)، دار الفكر، بيروت.
- الصاحب بن عباد (ت 385هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط 1، 1994م، عالم الكتب، بيروت.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت 211هـ)، تفسير القرآن المسمى تفسير الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، ط 1، 1410هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، 1983، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- الطبري، أبو جعفر محمد (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، 1405هـ، دار الفكر، بيروت.
- ابن عادل، عمر بن علي (ت 880هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق مجموعة من المحققين، ط 1، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1284هـ)، تفسير التحرير والتنوير، 1984م، دار الدار التونسية للنشر، تونس.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت 210هـ)، مجاز القرآن، (د.ت)، مكتبة الخانجي، مصر.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، 1997م، دار العلم والثقافة، مصر.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق (ت 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله (ت 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى-البابي، 1976، القاهرة.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد (ت 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 2، 1999م، دار الجيل، بيروت.

الفراء، أبو زكريا (ت207هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار، وعبد الفتاح شلبي، (د.ت)، الدار المصرية، مصر.

الفراهيدي، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د.ت). دار ومكتبة الهلال، جدة.

الفيومي، أحمد بن محمد (ت770هـ)، المصباح المنير، 1987، مكتبة لبنان، بيروت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن وما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق عبد الله التركي وآخرين، ط1، 2006م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير ابن كثير، 1401هـ، دار الفكر، بيروت.

المخزومي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر (ت104هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الظاهر محمد السورتي، (د.ت)، المنشورات العلمية، بيروت.

مرداوي، مجاهد عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، 1985، دارالضياء، عمان.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت261هـ)، صحيح مسلم، ط1، 2002م، دار ابن رجب، القاهرة.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، ط1، (د.ت)، دارالمعارف، القاهرة.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت338هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، 1409هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت710هـ)، تفسير النسفي، 1995م، دار الكتب العلمية، بيروت.

النيسابوري، نظام الدين (ت728هـ)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميران، ط1، 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت.